**المحاضرة الثانية: مقاربات التمييز بين النص والخطاب.**

تعددت وجهات النظر في دلالة كل من النص والخطاب، فهناك من يرى أنهما مترادفان ولا فرق بينهما كونهما مرتبطان بحقل الدراسات اللغوية ويهتمان ببناء الوحدات اللغوية وفي وظيفتها، وهناك من يميز بينهما بأدلة منها:

1. أن الخطاب يفترض وجود المتلقي لحظة إحداث الخطاب بينما يتوجه النص إلى متلق مؤجل يتلقاه عن طريق عينة القراءة، أي أن الخطاب نشاط تواصلي يتأسس-أولا- على اللغة المنطوقة بينما النص مدونة مكتوبة.
2. الخطاب لا يتجاوز سامعه إلى غيره، أي مرتبط بلحظة إنتاجه، بينما النص له ديمومة الكتابة، فهو يُقرأ في كل زمان ومكان.
3. الخطاب تنتجه اللغة الشفوية بينما النصوص تنتجها الكتابة، أو كما قال روبير إسكاربيت: "اللغة الشفوية تُنتج خطابا، بينما الكتابة تنتج نصوصا، وكلاهما يُحدّد بالرجوع إلى القناة التي يستعملها". ومن الذين ميّزوا بين مصطلحي النص والخطاب نجد تمام حسان الذي فرّق بينهما فرأى أن " الصفة المميّزة للنص هي استعماله في الاتصال وأن الخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة".كما نجد بشير إبرير الذي يميّز بدوره بين المصطلحين كما يلي:
4. يفترض الخطاب وجود السامع الذي يتلقى الخطاب بينما يتوجه النص إلى متلق غائب، عن طريق الكتابة.
5. الخطاب نشاط تواصلي يتأسس أولا وقبل كل شيء على اللغة المنطوقة، بينما النص مدونة مكتوبة.
6. الخطاب لا يتجاوز سامعه غلى غيره، أي أنه مرتبط بلحظة إنتاجه، بينما النص له ديمومة الكتابة، فهو يُقرأ في كل زمان ومكان.
7. الخطاب تنتجه اللغة الشفوية، بينما النص تنتجه الكتابة.

ومن المُلاحظ أن بشير إبرير اكتفى بالمفهوم لاقديم للخطاب ولم يتجاوزه إلى ما هو عليه اليوم. " فالخطاب مرتبط بالتلفظ والسياق التواصلي. في حين، يتميز النص بكونه مجردا عن هذا السياق بشكل كلي. وقد ميّز ميشيل أدم بينهما بهذا الشكل الرياضي:

الخطاب=النص+ظروف الإنتاج.

النص=الخطاب- ظروف الإنتاج.

وبتعبير آخر، فالخطاب، بكل تأكيد، ملفوظ يتميز بخاصيات نصية، لكنه يتميز أساسا بوصفه فعلا خطابيا أنجز في وضعية معينة(مشاركون، مؤسسات، موضع، زمان،...) أما النص، فهو، بالمقابل، موضوع مجرد ناتج عن نزع السياق عن الموضوع المحسوس". " وإذا كان النص موضوعا مجردا، ونظرية عامة لتأليف الوحدات والمتواليات والمقاطع. ومن ثمّ، يعني مجموعة من الجمل المتلاحمة والمترابطة والمتسقة عضويا ومعنويا، فإن الخطاب عبارة عن ملفوظات شفوية أو مكتوبة مرتبطة بسياقها التواصلي الوظيفي".

وإذا كان النص بناءً لغويا مجردا عن أطرافه التواصلية، فإن الخطاب له علاقة وثيقة بالإنجاز والكلام التلفظي. بينما هناك من يرى أن النص والخطاب لهما نفس المفهوم نظريا بينما يختلفان تطبيقيا، أو بالأحرى يمكن التمييز بينهما تطبيقيا لا نظريا، "ويبدو أن الخطاب يدل على أن ثمة متكلما ومستمعا وتأثيرا وتأثرا وعملية منجزة متمثلة واقعا، وعليه، فإن أي خطاب لا يمكن إدراكه بوصفه حدثا تواصليا دون إدراك الظروف الزمكانية وأحوال المخَاطبين والعملية الثنائية القائمة على التاثر والتأثير، وهذا النوع من المخاطبات لا يمكن عدها نصوصا مجردة عن السياق المقامي".

" ولعل الوظيفة الاستعمالية المرتبطة بمفهوم الخطاب، جعلته وثيق الصلة والترابط بمناهج الحياة كلها(السياسية والدينية والإدارية والرياضية...الخ) هو ممارسة استعمالية واقعية ملموسة للغة التي لا يمكن فهمها بمناى عن الزمكانية والظروف المحيطة بها" كما نجد ابن ظافر الشهري الذي يقول" إن اللغة موجودة بالقوة، في حين أن الخطاب هو ما يوجدها بالفعل". لكن لا يوجد لغةمصوغة وحدها بل مضيفة إلى النواحي الاجتماعية والتواصلية والقصدية، فضلا عن الظروف المقامية والسياقية، وهذا غن دل على شيء فإنما يدل على أن الخطاب أشمل من النص وأوسع؛ فهو يمثل الواقع الملموس غير المقتصر على التنظير".

ويمكن لنا استخلاص مجموعة من النقاط هي:

1-إن الخطاب يمثل الواقعالاستعمالي للغة، بمعنى أن للخطاب أهدافا ومقاصد لايمكن فهمها أو الوصول إليها بمنأى عن الظروف المحيطة(زمان ، مكان، مقام)، بل تظهر واضحة جلية في المقام الذي تشكلت فيه اللغة، فهو يدخل ضمن إطار العملية التواصلية للغة، ويِؤكد هذا ما جاء به ج. م.آدام حينما قال عن الخطاب" كلام يُنجزفي ظرفية ما من ظروف التّواصل، وهي ظرفية تعامل اجتماعية خطابية". فالخطاب حصيلة السمات الاجتماعية والذاتية والقصدية والتواصلية.

2-تحديد الخطاب بوصفه استعمالا لغويا ينسجم مع الوظيفية بشكل عام، بحيث ينظر إلى الخطاب على أنه نسق تتحقق عبره وظائف خاصة.

3-الخطاب تفاعلي يؤثر في المتلقي ويؤثر فيه؛ فالمتلقي له دور رئيس في تكوين صورة الخطاب النهائية.

4-النص يمثل اللغة في غير الاستعمال بوصفها بعدا ذهنيا وشكليا يدخل ضمن دائرة الشكلانية المفهومة من البنى الظاهرية للنص ولا تحتاج غلى تأويل كونها انعكاسا للصورة الذهنية المتشكلة في الذهن، كما يمكن تلخيص الفرق بين النص والخطاب كما يلي" إن مفهوم الخطاب يظهر بوضوح من خلال الفصل بين اللغة بوصفها مفهوما مجردا، وهي نظام متجانس في الوقت نفسه وبين اللغة في حالة الاستخدام؛ إذ تكون ممارسة اجتماعية، وهي تكون عندئذ ظاهرة اجتماعية محكومة بجملة شروط وظروف تكون بها جزءا من سيرورة المجتمع".

5-كل خطاب نص وليس كل نص خطاب، وهذا يدل على أن الخطاب أعم وأشمل من النص، فالنص يكون ذهنيا غير ملامس للواقع الملموس والاستعمالي، أما الخطاب فهو ذهني وملامس للواقع الاستعمالي".

وتبقى هذه الفروق المُشار إليها محاولات لبعض الدارسين التي لاترقى إلى حد الكمال والتسليم، بل إن الحديث عنهما لايزال محل نقاش إلى حد الساعة.

ولعل أبلغ صورة على العملية التواصلية التي يستعمل فيها كل من النص والخطاب بصورة متكررة هي ما يحدث داخل المجال التربوي التعليمي، حيث يظهر ذلك جليا من خلال عناصرها: معلم يبلغ مادة تعليمية بما تحتويه من معلومات علمية أو فنية أو غيرها للمتعلم، في ظروف معينة، فقد يكون التبليغ مباشرا، وهذا عن طريق الخطاب، وقد يكون غير مباشر وهذا يكون عن طريق النص.